

تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة وأثرهما على الأمن والاستقرار في الدول النامية أ. نزار بلة كريمة بن دقمان جامعة الجزائر 3 جامعة الجلفة

الملخص:

أصبحت وسائل الإتصال في حياة الإنسان مهمة نظرا للتطور العلمي الذي حدث في القرن العشرين والواحد والعشرين، لتظهر تقنيات بمختلف مجالاتها ومن هنا تشكل صراع البقاء بالنسبة للأمم فإما التقدم وإما التهميش والتخلف وبذلك أصبح العلم أساس التقدم لقد أصبح العالم اليوم يتمتع بعصر الثورة الرقمية والإلكترونية وأصبحت وسيلة قوية تستخدمها الدول دون أن تحرك قواتها العسكرية، مما جعلها سلاحا للتهديد عبر شاشات الحاسوب وتستطيع الدول أن تتدخل في البنية التحتية وتدمرها، وهو ما يعرف بالحرب الإلكترونية "Electronic warfare".

أصبحت الدول النامية عرضة لهذا الخطر الأمريكي على الأمن السياسي للدول القومية عامة والدول النامية خاصة مع تأثير العولمة على الدولة الوطنية وسيادتها خاصة التكنولوجيات الحديثة التي تستعملها الشركات المتعددة الجنسيات مع التطور في استخدام الأنترنت والتجسس على هذه الدول.
الكلمات المفتاحية: العولمة، الثورة، الصراع، السيادة، الأنترنت، التجسس، القوة، الاستقرار.

Résumé :

La communication est devenu un moyen dans la tâche de la vie humaine en raison du développement scientifique qui a eu lieu au 20ème siècle et les 21ème siècle apparaît dans diverses techniques de champs constituent donc une lutte pour la survie pour le progrès ou la marginalisation le sous-développement, et ainsi la science devenu la base des progrès. Le monde est devenu aujourd'hui bénéficie de l'ère de la révolution numérique et électronique est devenu un outil puissant utilisé par les États sans être déplacés ses forces militaires, Faire une arme de la menace sur les écrans d'ordinateur et les états ne peuvent pas intervenir dans l'infrastructure et de détruire ce qui est connu comme la guerre électronique "guerre électronique. Les pays sous développer sont devenus vulnérables aux états US menace pour la sécurité politique des pays nationaux général, en particulier les pays où l'impact de la mondialisation sur les technologies modernes privées l'État-nation utilisés par des sociétés multinationales avec le développement de l'utilisation de l'Internet et d'espionnage sur ces pays et leur souveraineté en développement".

مقدمة :

كان التبادل الإقتصادي بين الأمم والشعوب يقتصر على السلع والمنتجات ورؤوس الأموال، ثم ظهر نوع جديد من البضائع وهو تبادل الأفكار والمعلومات الذي أخذ مكانة متزايدة الأهمية نظرا لفعالية خاصة في السماح للشركات متعددة الجنسيات أن تجعل من العالم مسرحا لنشاطاتها في الحصول على المستخدمات، أو توزيع عمليات الإنتاج والتسويق وتحديد أولويات الإستثمار في الإقتصاد القومي، إلا أن إقتران التقدم التكنولوجي بالهيمنة جعل منه أداة من أدوات العولمة وعاملا حاسما في بلورتها وتطويرها بالشكل التي هي عليه الآن، ومن هنا ندرك بأن العولمة إقترنت بشكل أساسي بالتطبيقات المذهلة للتكنولوجيا في مجالات

الإتصال، بحيث ثم تقليص المسافات وإختصار الوقت والجهد، فالكومبيوتر الحالي توصل إلى إجراء أكثر من ملياري عملية مختلفة في الثانية الواحدة وهو الأمر الذي كان يستغرق ألف عام.

كما أن تكنولوجيا المعلومات والإتصالات أصبحت تتيح للأفراد والدول والمجتمعات للإرتباط بعدد لا يحصى من الوسائل التي تتراوح بين الكابلات الضوئية والفاكسات ومحطات الإذاعة بالإضافة إلى أجهزة الكومبيوتر والبريد الإلكتروني وشبكات الأنترنت التي تربط العالم بتكاليف أقل بوضوح أكثر على مدار الساعة، لقد تحولت تكنولوجيا المعلومات إلى أهم مصدر من مصادر الثروة أو قوة من القوى الإجتماعية والسياسية والثقافية في عالم اليوم. فأصبحت الإكتشافات العلمية والمبتكرات الصناعية أسرار الدولة يجب إحتكارها والحرص على حماية سريرتها، وهذا لتكريس هيمنة المركز أي أمريكا على الأطراف أي بقية العالم.

وما كان لليد الخفية للسوق العالمية أن تعمل عملها لولا القبضة الخفية التي تجعل العالم مكانا آمنا لإزدهار تكنولوجيا الو.م.أ والقبضة المذكورة هو الجيش الأمريكي وسلاح الجو ومشاة البحرية الأمريكية.

من هذا المنطلق أصبحت الدول النامية عرضة لهذا الخطر الأمريكي على الأمن السياسي للدول القومية عامة والدول النامية خاصة مع تأثير العولمة على الدولة الوطنية وسيادتها خاصة التكنولوجيات الحديثة التي تستعملها الشركات المتعددة الجنسيات مع التطور في إستخدام الأنترنت والتجسس على هذه الدول.

أصبحت وسائل الإتصال في حياة الإنسان مهمة نظرا للتطور العلمي الذي حدث في القرن العشرين والواحد والعشرين، لتظهر تقنيات بمختلف مجالاتها ومن هنا تشكل صراع البقاء بالنسبة للأمم، فإما التقدم وإما التهميش والتخلف وبذلك أصبح العلم أساس التقدم، لقد أصبح العالم اليوم يتمتع بعصر الثورة الرقمية والإلكترونية وأصبحت وسيلة قوية تستخدمها الدول دون أن تحرك قواتها العسكرية، مما جعلها سلاحا للتهديد عبر شاشات الحاسوب وتستطيع الدول أن تتدخل في البنية التحتية وتدمرها، وهو ما يعرف بالحرب الإلكترونية "Electronic warfare".

وهنا نطرح إشكالية التالية :

ما هو أثر التكنولوجيات الحديثة على إستقرار الدولة الوطنية والدول النامية في ظل العولمة ؟

وهنا يتبادر في ذهننا عدة تساؤلات :

- ماهي أثار التجسس الإلكتروني على الدول القومية عامة والدول النامية خاصة؟
 - هل أصبح الأنترنت يشكل خطرا على سيادة الدولة ؟
 - هل يمكن إعتبار الأنترنت في قضية سنودن فضيحة عالمية كشفت عن خبايا الصراع الدائر بين الروس والو.م.أ وأثرت على إستقرار الدول العربية نتج عنها الربيع العربي؟
- مشكلة الدراسة :

لقد أصبحت وسائل الإتصال الإلكتروني لغة العصر وأداة من أدوات الإتصال وبذلك أصبح التنافس بين المنظمات والدول يقوم على من يمتلك هذه التكنولوجيا الحديثة مما أحدث صراعا سياسيا وإقتصاديا وأمنيا، والسؤال المطروح من يمتلك هذه التكنولوجيا؟ طبعاً الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتقدمة الأوربية لأنها إهتمت بالعلم وفي المقابل تخلف الدول النامية جعل منها أداة في يدها مما أثقل كاهلها وأصبحت عرضة

للتدخل والتجسس الأمريكي هذه الحرب الإلكترونية حطمت الدولة الوطنية خاصة مع دخول الشركات المتعددة الجنسيات في صميم اللعبة القدرة وجعل الأمن القومي العربي في خطر .
أهمية الدراسة :

هذه الأهمية تتمثل في إرتفاع وسائل الإتصال الحديثة والمكانة الهامة التي يحتلها الفضاء الإلكتروني مما أدى بالدول إلى حماية أسرارها لعدم التدخل في الشؤون الداخلية التي تؤثر على سيادتها لأن الحروب الإلكترونية أسلوب جديد يعطي الفرصة لضرب أي دولة أو منظمة أو القضاء على البرمجيات الكبيرة التي تسيير الاقتصاد والجيش .
أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان وسائل التكنولوجيات الحديثة خاصة الأنترنت في سيطرة العالم المتقدم على الدول النامية وكيف أصبح الانترنت يهدد السيادة الداخلية للدول وتبيان الهدف والعلاقة بين الأنترنت والأمن القومي .
منهجية الدراسة :

في محاولة للإجابة على تساؤلات الدراسة، والتحقق فإن المنهج المتبع المنهج المقارن والمنهج الوصفي التحليلي لأن الدراسة جاءت من ضمن المواضيع التي تفرض على الباحثة استخدام هذا المنهج كونه جديد وحديث .
فرضيات الدراسة :

كلما تقدمت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في العلوم التقنية والتكنولوجية، أصبحت وسائل التجسس والحروب الإلكترونية على الدول النامية والدول القومية أشد فتكا ودمارا على أمنها القومي .
كلما أمنت الدولة الوطنية والدول النامية أمنها المعلوماتي الإلكتروني كلما كانت حماية وحصانة لأمنها القومي .
تحديد المفاهيم :

مفهوم الأمن القومي : يعرف الأمن القومي على أنه المحافظة على الوجود الكياني للدولة أرضا وشعبا نظاما، وأن هذا الأمن حقيقة نسبية وليست مطلقة، أي ليس هناك أمن مطلق شامل بكل جوانبه مهما بلغت الدولة من القوة والبناء الصناعي والعسكري أي هنالك مصادر تهديد تواجهها وقد عرف بادل فورد وجورج لنكون الأمن القومي بأنه " مفهوم نسبي يعني أن تكون الدولة قادرة على القتال والدفاع من وجودها ضد العدوان أو التهديد الخارجي أي أنها تمتلك القدرة المادية والبشرية التي تجعل شعبها يشعر بالتححرر من الخوف، بما يضمن مركزها الدولي ومساهمتها في تحقيق الأمن الدولي⁽¹⁾"
مفهوم العولمة :

يختلف الفقهاء في تعريف العولمة فهناك من ينظر إليها من منظور إقتصادي وهناك من ينظر إليها من جانب سياسي وآخرون ثقافي وإجتماعي وهذا حسب طبيعة المصطلح .

هناك تعريف الدكتور أبو راشد " يرى العولمة أنها تعبير إنسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي وتمركز راس المال، وإنعدام القيم الإنسانية والأخلاقية وسيادة منطق الربح والإزدهار الفردي والبقاء للأقوى من خلال تجارة السوق المعلوماتية والإستلاب الثقافي للشعوب والدول والقوميات".

وعرفها الدكتور الجابري على أنها " نفي للآخر وإحلال الإختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي كما تعني الهيمنة وفرض نمط واحد الإستهلاك والسلوك". نستنتج أن العولمة هي الهيمنة والسيطرة وما تحمله من دلالات ونتائج سيئة على الشعوب الضعيفة⁽²⁾.

مفهوم الأمن المعلوماتي :

يعرف من قبل الدكتور عليان يحي على أنها "الحماية الأمنية والتقنية للدول التي يتعامل مؤسساتها ومجتمعها مع وسائل الإتصالات الحديثة، كالميدان السياسي والإقتصادي والإجتماعي والصحي والعسكري والتربوي والأمني". من خلال هذا التعريف يمكن القول أن المعلومات الإلكترونية لها أهمية بالغة حيث أصبحت سلاحا ينافس الأسلحة التقليدية والحديثة ولهذا تقوم الدول على حماية معلوماتها من الفجوات الداخلية والخارجية⁽³⁾.

مفهوم الحرب الإلكترونية :

"هي حرب إفتراضية تحاكي الواقع بشكل شبه تام وهي حرب بلا دماء بحيث يكون الصراع عن طريق المواجهة الإلكترونية والبرمجيات التقنية وجنود من برامج التخريب المحسوبة والتجسس"⁽⁴⁾.

وهناك من يربطها بالأنترنت كونها تساعد على إنتشار المعلومات والوصول إليها بسرعة وهي الحرب التي تصل إلى مواقع البيانات الموجودة على الأنترنت والإستيلاء عليها⁽⁵⁾.

مفهوم الدولة الوطنية :

تقوم فكرة الدولة الوطنية أو القومية على ضرورة بناء الدولة وتخطيط حدودها من جهة، ومن عملية تنظيم العلاقة السياسية بين الحاكم والمحكوم من جهة أخرى، فهي تجعل العلاقة بين المواطن والسلطة مباشرة وتجعل من الشعور القومي أو الوطني وحدة هو أساس التكتل الإجتماعي والوحدة السياسية فالدولة الوطنية تعتمد في تجانسها الإجتماعي وتكاملها السياسي على عامل الشعور القومي وحده⁽⁶⁾.

1) الأنترنت وتأثيرها على الدول القومية والدول النامية:

أحدثت العولمة تأثيرات كبيرة على الدول العربية في مختلف الميادين الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية هذا الغزو إستهدف الدولة الوطنية وأثر على الدين والهوية والقيم والفضائل التي كانت تتحلى بها الأمة العربية والإسلامية كما أثر على أمنها القومي وجعل الدول النامية أيضا عرضة لهذا الغداء المسموم. إنها حرب خفية أهدافها تتمثل في الهيمنة من طرف الدول الليبرالية على الإقتصاد العالمي بإستعمال الشركات المتعددة الجنسيات والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة وصندوق النقد الدولي والتدخل في الشؤون الداخلية للدول النامية والتأثير على أمنها القومي بإضعاف دور الدولة الوطنية، كما أصبح العالم الثالث مهدد من جهة العولمة عبر وسائل الإعلام والأنترنت وعبر الإقتصاديات الجديدة من جهة ثانية والتي أصبحت المنظومة الإعلامية في هذا العالم المتخلف غير منتج ومستهلك مما جعلها تتسلخ عن قيمها الثقافية والتي هي سبب من أسباب بناء الدولة الوطنية⁽⁷⁾.

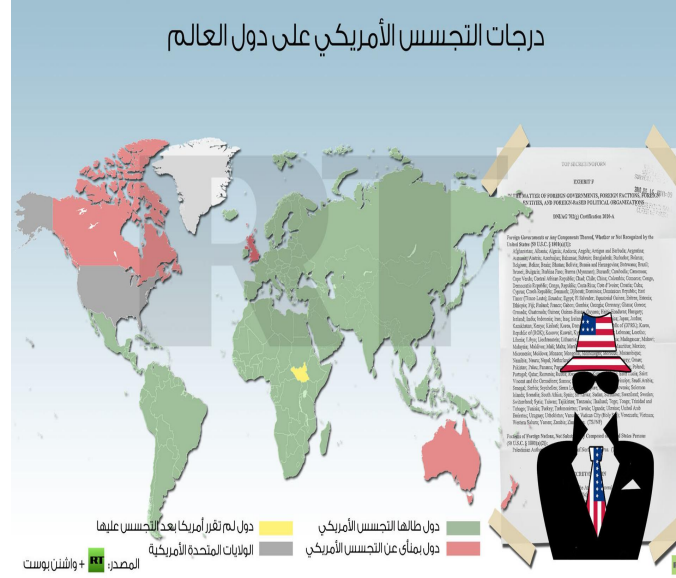
شكّلت ثورة المعلومات أو الطفرة التكنولوجية قفزة نوعية وأصبح العالم قرية صغيرة فعن طريق شبكات الإتصال الجديدة ووسائل الإعلام والأقمار الصناعية... إلخ أدى إلى هيمنة الدول المصنعة على مصادر المعلومة وصناعاتها مما سيطرت على دول الجنوب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تبعاً لأهدافها ومصالحه⁽⁸⁾، كما أن للشركات المتعددة الجنسيات هي الأخرى شكل من أشكال التدخل والتي غالباً ما تهدد الأمن القومي العربي نظراً للآثار السلبية في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لأنها تطبق أهداف الدول الكبرى ومثال ذلك ما حدث في النيجر مدينة "دلتا" حيث جاء على لسان منظمة هيومن رايتس ووتش أن شركة شل تواطأت مع الشرطة والجيش في إنتهاكات لحقوق الإنسان عندما قمعت إحتجاجات سكان دلتا. وهنا يمكن الجزم أن السيادة الوطنية للدول النامية والدولة القومية المضيفة للشركات المتعددة الجنسيات مهدد بالخطر لأنها تخترق معلومات هذه الدول وتتجسس عليها وتحاول إختراق النظم السياسية الضعيفة وتفتح أبواب سيادة الأمم⁽⁹⁾.

لقد إستطاعت هذه الشركات إختراق السيادة القومية للدول عن طريق فرض تكنولوجياتها الحديثة والعالية الدرجة والتسويق الإلكتروني فأصبحت فاعلاً مؤثراً في العلاقات الاقتصادية الدولية، هذا ما أدى إلى تقليص هيبة الدولة الوطنية وتراجع وتزاحم الدور والسيادة من هذه الشركات وفقاً لأرباحها⁽¹⁰⁾ من هذا المنطلق والتحول الكبري التي فرضتها العولمة والثورة المعلوماتية في بنية المعرفة والتقنية والتي تسمى بتقنيات المعلومات والإتصالات جعلها مرتبطة بقضايا تتعلق بالأمن القومي للدول، جاء مصطلح أمن المعلومات في عدة تعاريف من بينها " العلم الذي يبحث في نظريات وإستراتيجيات توفير الحماية للمعلومات من المخاطر التي تهددها ومن أنشطة الإعتداء عليها" ومن الناحية الفنية تعرف "الوسائل والأدوات والإجراءات اللأزم توفيرها لضمان حماية المعلومات من الأخطار الداخلية والخارجية"⁽¹¹⁾.

الكثير من الأنظمة السياسية في المجتمعات العربية تفقد وتتجاهل الأمن المعلوماتي مما أدى إلى عدم حماية عملها الفردي والجماعي في كوكب تكنولوجي يحتكم إلى القوة الأمنية المعلوماتية، تزداد الحاجة القومية العربية إلى وضع إستراتيجية وطنية تواكب التطورات الحاصلة في العالم وتسير جنباً إلى جنب في كنف المعلومات الإلكترونية والبحث في سبل حمايتها من التدخلات الأجنبية والعمل على إستخدامها بشكل صحيح لخدمة صانعي القرار في الوطن العربي. ولهذا تحاول الدول النامية والدول القومية وضع حد لهذا التحكم الأجنبي في وسائل الإتصال الحديثة كالأنترنت والإعتماد على الذات لتطوير البرمجيات والآلات الهادفة إلى تنمية المجتمع.

من خلال هذا الضعف الذي يعانيه الأمن القومي العربي راجع لعدم الإهتمام بوسائل الحماية الإلكترونية والمعلوماتية زيادة على ذلك قلة جمع المعلومات المتعلقة بمكافحة السطوة الرقمية التي أوجدتها الثقافة الإستهلاكية العربية، وفي وقتنا الحالي وتطبيقاً لمعادلة من يمتلك الوسائل المعرفية من تكنولوجيا وشبكات الإتصال ووسائل رقمية يمتلك القوة وتسيطر بها على الدول التي لا تملكها، إن المشاكل المطروحة اليوم في الساحة العربية وعلى إثر الإنقسامات والفوضى في التسيير والحكم الدكتاتوري ضعف الإنتاجية العربية من التكنولوجيا الرقمية نظراً لإهتمام القادة بسلب أموال الخزينة وتفضي الفساد السياسي حيث أصبح الإبداع في

يد الغرب وليس العرب، مما جعلها متخلفة وهذا واضح في شبكة الأنترنت كل المعرفة مكتوبة باللغة الإنجليزية هذا الضغط جعل الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل في البنى التحتية العربية في الإقتصاد والسياسة والإجتماع والتعليم والإتصال لتصل إلى القرصنة والتجسس من خلال الرقابة العالية الإستخدام من طرفها.⁽¹²⁾ والجدول التالي يبين ذلك في تقرير واشنطن بوست.



تفرض الولايات المتحدة الأمريكية رقابة عالية على الدول النامية والدول القومية وتحاول دائما تفكيكها لتضعف مقوماتها ولا تكون قوة واحدة كذلك المنظمات العربية أصبحت صورة لا غير والدليل على ذلك الصراعات الداخلية بين رؤساء الدول وكل يميل حسب مصالحه التابعة للدول الكبرى إذن ولا شك في هذا أن هذا الغزو هو غزو فكري ورقمي الهدف منه هو تحول المنطقة العربية إلى قطاعات بشرية مستهلكة لكل ما يتحده الغرب وبهذا تبعا تابعة للأبد حيث أثرت الأسلحة الإلكترونية على الدولة القومية خصوصا أساليب الهندسة الإجتماعية⁽¹³⁾.

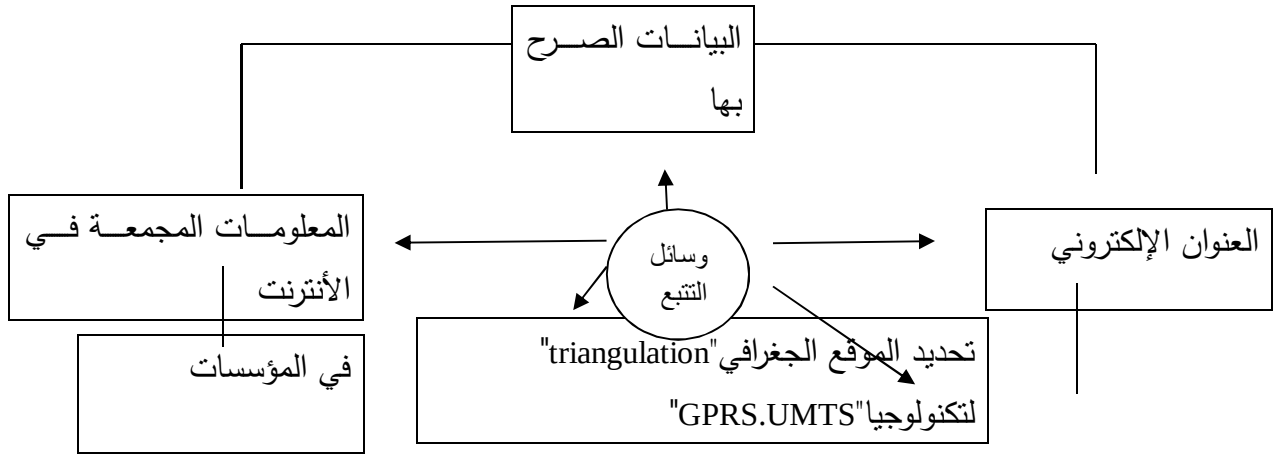
يطرح العديد من المواطنين كيف تكون وسائل التتبع والتجسس المعلوماتي على حياة عامة الناس ومن بين هذه الوسائل :

- البيانات المصرح بها : هي بيانات التعريف الشخصية والمفضلات أي ما يهتم به الفرد زيادة على ذلك إقتفاء أثر الإبحار في الشبكة، وهي عبارة عن ملفات صغيرة بالقرص الصلب للكمبيوتر وتسمح بذلك بتسجيل كل المعلومات المتعلقة بالفرد، المواقع المرتادة، وثيرة الزيارات، المواضيع المهمة....

- المعلومات المجمعة من منتديات الحوار والردشة ومن الفضاءات العامة للأنترنت وهي لا تقلت من رقابتها أي معلومة غير مرمزة تثبت عبر الشبكة، وتسمح هذه المحركات لأي كان الحصول عليها :

- العنوان الإلكتروني لأي شخص مسجل في قاعدة البيانات ومجموع مواضيع دردشة المتحاورين بالإضافة إلى نهاية الغفلية anonymat. على الشبكة إذ بمجرد كتابة إسم أي شخص في محرك بحث تظهر قائمة المواقع التي ورد إسمه فيها.

- تحديد المواقع الجغرافي : يمكن تحديد مكان صاحبه بفضل المثلثي triangulation لتكنولوجيا GPRS.UMTS المعدة ببرنامج الترميز العالمي.



في المؤسسات: تعج الأقراص الصلبة والبريد الإلكتروني والاتصالات على الشبكة بالمعلومات حول نشاط الأجراء في أماكن العمل، ويمكن إستعمال هذه المعلومات من طرف أرباب العمل ومن أطراف أخرى قد تكون مجهولة⁽¹⁴⁾.

لقد كانت الرقابة التي تديرها وكالة الأمن الوطني للولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون مع أستراليا وكندا ونيوزلندا والمعروفة بإسم حلف العيون الخمس ومن بين الفضائح التي سريها إدوارد سنودن المستشار السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي والذي هو متواجد الآن في روسيا تضمنت أدلة على مايلي :

-أمرت العديد من الشركات منها فايسبوك وغوغل وميكروسوفت على تسليم بيانات زبائنهم من خلال برنامج "بريزم" التابع لوكالة الأمن الوطني، كما قامت بتسجيل وتخزين وتحليل البيانات المتعلقة بكل مكالمات هاتفية ورسالة نصية بثت في المكسيك وكينيا والفلبين كما إختارت أضخم شركات الاتصالات السلكية واللاسلكية لإعتراض الكوابل البحرية عبر المحيط الأطلسي والتتصت على الاتصالات الخاصة التي تنقلها من خلال برنامج "تيمبورا" TEMPORA وأبستريم UPSTREAM، كما قامت بقرصنة شبكة الحاسوب الداخلي لشركة "غيمالتو" وهي المصنع الأكبر لبطاقات سيم sim في العالم لسرقة مفاتيح التشفير المستخدمة لحماية الاتصالات عبر الهواتف عبر العالم⁽¹⁵⁾.

إن هذه الحقائق التي فرضتها العولمة تطرح إشكالية نقاط مفارقة بين السيادة والعولمة أي ما هو مصير الدولة القومية عامة والدول النامية خاصة في ظل التهديدات الإلكترونية أو ما يعرف بالحروب الإلكترونية خاصة الأنترنت كوسيلة للحرب، فمفهوم الدولة كان لصيقا بوجود السيادة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وهذا ما يبين خطر العولمة التي وصلت إلى تفكيك مفهوم السيادة من خلال درب هذا المفهوم وهو الدولة الوطنية فهي تعمل دائما على تدميرها لتحل محلها من خلال التكنولوجيات الحديثة وتسميمها والتأثير عليها بشتى الطرق، حيث أصبح مفهوم الحرية وحقوق الإنسان والمصلحة العامة والقانون قامت العولمة بتوضيفها بكيفية تخدم مصالحها الخاصة، فالدولة القومية والدولة الوطنية عندما تتصدى للعولمة وسلبياتها في شتى المجالات فهي تدرك أنها تقف في وجه طموحاتها فالتحول من السيادة إلى العولمة هو مسار عدواني فرضته القوة التي تملكها الدول السبع فالجميع مستهدف ويجب أن يخضع لسلطات الشركات المتعددة الجنسيات ويطبق تعاليم البنك الدولي ويسير في منهج الخصوصية التي تخدم العولمة، وتقوم هذه الإيديولوجيا على ركائز من بينها: القضاء على الدولة الوطنية لسيطرة الدول الرأسمالية على العالم بالإضافة إلى

إستعمال الأنترنت ووسائله الحديثة في خدمة الإختراق وإستعمار العقول ليصبح أداة للفلسفة النفعية، تبني مبدأ البقاء للأصلح بشكل لا إنساني بهدف كسب الثروة والنفوذ⁽¹⁶⁾.

تبرر الحكومات الغربية هذا ولكن عندما تأكده الوقائع الميدانية من إنتهاكات حقوق الإنسان والتعدي في الشؤون الداخلية للدول خاصة بعد غزو مانهاتن أدى بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تبدل جذري في مفهوم الأمن الأمريكي بشعار "إذا دخل فأر أو خرج منها فلا بد وأن نجد عنه تقريراً في أرشيف الإستخبارات الأمريكية". والوقائع كثيرة في الدول العربية منها العراق، إيران، مصر... وحتى بعض المنظمات العالمية والشخصيات البارزة خاصة السياسية منها والعسكرية.

(2) الأنترنت والصراع العالمي ونتائجه على الدولة الوطنية:

وفي نفس السياق تتهم الولايات المتحدة الأمريكية أيضا عدوها الروسي بإستعمال الأنترنت للتجسس خاصة أثناء الإنتخابات الأمريكية حيث قرصنة الرسائل الإلكترونية للمنظمات السياسية الأمريكية، قال المتحدث بوش إرنست وهو عضو في البيت الأبيض إن الرد على روسيا هي ليست محدودة بالإطار الإلكتروني القرصنة بل بالعقوبات الإقتصادية وأشار البيان إلى أن وضع الرسائل الإلكترونية المقرصنة على مواقع مثل دي سي ليكس دوت كوم وويكي ليكس من قبل شخصية غاسيفير 2.0 "إسم القرصان" الإلكتروني يتطابق مع الوسائل والطرق التي تأمر بها روسيا وهي إتهامات لم تتلق رد من روسيا⁽¹⁷⁾.

وتبعاً لذلك ومما زادة الطين بلة هو طرح قضية سنودن في الصراع الروسي الأمريكي حيث إتهم الكونجرس الأمريكي وكالة الأمن القومي السابق إدوارد سنودن الذي سرب العديد من الوثائق السرية الخاصة ببرنامج مراقبة الحكومة الأمريكية، بأنه يعطي المعلومات لوكالات الإستخبارات الروسية، وجاء تقرير للجنة المخابرات في مجلس النواب الأمريكي أنه إذا حصل الصينيون والروس على معلومات تتعلق بتلك القضايا الخطيرة التي إكتشفتها وزارة الدفاع الأمريكية ولم يتم الكشف عنها، فإن القوات الأمريكية ستواجه صراع أكبر في أي صراع مستقبلي⁽¹⁸⁾.

إن قضية سنودن لم تلمس الروس فقط بل طالت إلى منظمات إقليمية إفريقية وخطوط الهواتف الجواله في الشرق الأوسط وإفريقيا عبر تتبع عاملين ومسؤولين فيها وفق ما نشرته صحيفة "لوموند" بالإضافة إلى الأمم المتحدة والإتحاد الإفريقي هذا التطاول والتدخل أدى ببريطانيا والولايات المتحدة حسب ما صرح به سنودن في الوثائق المسربة أنهم إستهدفوا تقنيين عاملين في شركات للإتصالات عبر التجسس الإلكتروني على بريدهم الخاص، وذلك في مجال " رومينغ" التقنية التي تسمح للشخص بالقيام بالإتصال في الخارج. وتبين سعي البريطانيين إلى التجسس على مشغلين أساسيين للهواتف في الشرق الأوسط وإفريقيا وفي نفس السياق تقوم بريطانيا بتتبع المواصلات الداخلية لشركة "زين" التي يقع مقرها في الكويت ومتواجدة في ثمان دول، بالإضافة إلى الولوج في الإتصالات الداخلية بين المهندسين لشركة الإتصالات "أم تي أن" المتواجدة في عشرات الدول الإفريقية مع 2000 مليون زبون والهدف من هذا هو فهم طريقة عمل هذه الشركات وطريقة تتناقل المعلومات فيها⁽¹⁹⁾.

بالإضافة إلى مراقبة الإتصالات عبر الأنترنت والتتبع قامت الولايات المتحدة الأمريكية بوضع لائحة المراقبة طالت أفراد معينين ومن بين أولئك المستهدفين أيضا :

- منظمة أطباء العالم : " وهي معروفة ومحترمة تقدم الرعاية الطبية إلى المتضررين من الحرب أو الكوارث الطبيعية أو المرض أو الجوع أو الفقر".

-خواكين ألونيا نائب رئيس المفوضية الأوروبية : وهو مكلف بالإشراف على سياسة المنافسة ويناضل ضد الكارتيلات ومنع الشركات المهيمنة من إساءة إستخدام قوتها في السوق في أي بلد في أوروبا.

-منظمة الأمم المتحدة للطفولة في يونسف: وهي تضطلع بتعزيز حقوق الأطفال ورفاههم في العالم.

-أحمد موفق زيدان مدير مكتب قناة الجزيرة في باكستان وهو صحفي محترم ومدير مكتب الجزيرة في إسلام آباد.

بالإضافة إلى عدة جهات طالتها الرقابة على الأنترنت ووضفتها لصالحها. خلاصة القول أن هذه الفوضى العالمية

لعدم إحترام المواثيق الدولية والتعدي على والمنظمات والتدخل المباشر في خصوصيات وأسرار الدول والمؤسسات أثر على الأنظمة السياسية العربية نتج عنها الربيع العربي والإنقلابات العسكرية نتيجة إستقطاب المعلومة السرية من أفواه الحكام والمؤسسات الرسمية لإختراقها عبر وسائل الإتصال الحديثة والتي كانت وسيلة سهلة لبلوغ أهداف المؤامرات العالمية لتفكيك الدول العربية وتقسيمها إلى دويلات كما حدث للسودان وغيرها من الدول العربية.

إن الجدل حول ما أسطّح بتسميته الربيع العربي جاء فجأة لم يكن يتوقع على أحد حتى السلطات العربية بأكملها ومن أبرز ما دفع هذه الثورات على لسان الباحثين الأكاديميين هو إستعمال الأنترنت للمرة الأولى في حياة الثورات بشكل متطور وتقنية عالية فهذه التكنولوجيا التي وفرتها السلطات كانت بمثابة سلاحا سلبيا له حل محل الحزب والدعاية السرية، بالإضافة إلى الهواتف المزودة بكاميرات رقمية ومن شبكات الإتصال الهاتفية التي هي أيضا تدخل من ضمن شبكات الأنترنت.

هذه التكنولوجيا سمحت للشباب للخروج عن صمته والتعبير عن رأيه والتحول من الإقتراض إلى الواقع الأرضي عن طريق فايسبوك وتويتر ويوتيوب ومثال ذلك ما وقع في تونس عند نشوب في جسد بوعزيزي النار، فإكتشف العالم قدرة مواقع التواصل في إنتشار وقائع الثورات العربية، وقد شكل هذا بعد حدثي الذي خاطب العالم⁽²⁰⁾.

جدل⁽²¹⁾ (1) :

عدد مستخدمي تويتر في المنطقة العربية 2012.

البلد	عدد النشطين في 2012.	نسبة الإنتشار % 2012	عدد التغريدات خلال ديسمبر 2011	عدد التغريدات خلال مارس 2012
الجزائر	8636	020%	273000	496000
المغرب	38285	012%	780000	2232000

713000	390000	0,11%	11936	تونس
19530000	6000000	0,35%	285684	مصر
341000	228000	0,70%	4402	ليبيا
49600000	7200000	2,89%	818894	المملكة السعودية
15500000	3900000	3,25%	262720	الإمارات العربية المتحدة
5580000	1,350000	3,09%	58631	قطر
2759000	720000	1,81%	78271	لبنان
58900000	11,100000	12,83%	352892	الكويت
2604000	630000	0,92%	60243	الأردن
992000	450000	0,30%	10954	العراق
1488000	450000	0,50%	10315	سوريا
496000	183000	0,20%	5965	اليمن
8680000	2,520000	5,33%	81892	البحرين

جدول (22) (2) :

عدد مستخدمي فايسبوك ماي 2012.

البلد	عدد السكان النسبة %	العدد
الجزائر	1,70%	629960
المغرب	4,35%	590360
مصر	1,90%	1,608420
تونس	1,80%	187440
ليبيا	2,40%	154000
السعودية	3,40%	971900
سوريا	6,50%	1,376112
الإمارات	6,50%	523600
الأردن	3,40%	217,500
قطر	12,60%	244,840
العراق	1,10%	382140

المصدر : تقرير الإعلام الاجتماعي العربي الإصدار الرابع يوليو 2012 الصادر عن كلية دبي للإدارة الحكومية.

نلاحظ تطور استخدام فايسبوك في المنطقة العربية أكثر من استخدام تويتر، حيث بلغ فايسبوك 45,65% وذلك راجع إلى الثورات العربية التي حدثت في تونس ومصر وسوريا بينما تويتر وصل إلى 32,60% نظرا لتفطيل الشباب العربي فايسبوك كوسيلة سهلة للتواصل المجموع بينهما 78,25%، وهو فرق شاسع بالنسبة للإحصائيات ما قبل 2009، حيث لم يتجاوز 60%.

فمنذ عام 2011 نوقشت عدة مواضيع بخصوص أهمية التواصل الاجتماعي وقدرتها على التأثير في تحضير المشاركة الشعبية وتأثيرها على النظام السياسي ككل من طلبات وأراء يعبر بها الشباب العربي في الحراك الاجتماعي، مما أسهم في خروج الثورات العربية من رحم المواقع الإلكترونية، بالتغيير عن غضبهم وسخطهم من أوضاع بلادهم كما نزعته هذه المواقع الرعب والخوف في نفوسهم.

حيث تمكن الأنترنت من تنظيم الاحتجاجات إفتراضيا ومن تم تطبيقها على أرض الواقع من خلال الثورات، كما لعب دورا بارزا في إيصال صوت الشباب العربي إلى العالم وإثارة الرأي العام وأصبحت بمثابة الزعيم القائد للثورات العربية هذه الوسائل لعبت دورا هاما في تغيير الخريطة العربية وتفكيك الدولة الوطنية وتغيير في مفهوم الدول القومية نتيجة الخرقات الخارجية والمعارضة التي تغذي هذه الوسائل الإلكترونية بتسميمها بغذاء مسموم لضرب مقومات الدول العربية وشلها من الداخل لتمرير أهداف ومصالح الغرب، حيث أصبح الهاتف النقال هو الآخر يكشف عن أسرار الدول من كشف وتسريب الوثائق عبر الشبكات الإلكترونية وكشف الصور وما يجري داخل الدول العربية وما ذلك من خبايا النظام والشعوب⁽²³⁾.

ويؤكد ذلك عزمي بشارة أن مواقع التواصل الاجتماعي كان لها تأثير كبير في ثورة تونس والبلدان العربية المجاورة ويقول بأن هذه المواقع الإلكترونية قامت بدور التعبئة الإيديولوجية في الثورات العربية، وأعرب تشارلي بيكيت مدير مركز بوليس للأبحاث في لندن عن أهمية الأنترنت ومواقع التواصل بين جميع الناشطين وقال ليست هي الوحيدة في الثورة بل هناك أمور أخرى ساعدت على ذلك ويقصد بالتدخلات الأجنبية المباشرة والغير المباشرة.

ويرى الكاتب كايد القصاصي أن فايسبوك لعب دورا في تشكيل الرأي العام وتحريك الشعوب، فإستعماله تحول إلى وسيلة للتواصل السياسي فأصبحت أداة سياسية للتعبير وهذا ماوصلت إليه الدول النامية ويقول محمود علم الدين رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام أنه يرى في الفترة المقبلة ستجعل التكنولوجيا الحديثة مسؤولية عن صياغة عقول الشباب خاصة مجموعات "فيس بوك" التي تعتبر ساحة للتعبير عن الخواطر والمشاكل وتجتمع في قضية واحدة⁽²⁴⁾.

رويترز:

"كما أكد مستشار وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الابتكار أليك روس أن ناشطون في سوريا ودول أخرى عربية يستهدفون تقنيات أمريكية شملت ما يسمى زر الطوارئ في الهواتف الخلوية والأنترنت في حقيبة للتغلب على قيود التي تفرضها الحكومات على الإتصالات وقال أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على مابين عشرة وعشرون تقنية سرية إلكترونية عبر الأنترنت يمكن أن يستخدمها المحتجون وغيرهم من يوا جهون قيودا على الإتصالات وتحدث أيضا عن طريق إستخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك لمواجهة الدعاية التي تنتشر على الأنترنت مما وصفه بالجيش الإلكتروني السوري.

وشرح روس إحدى التقنيات الجديدة وتعرف بإسم "زر الطوارئ" وهي شيفرة تتولى فور إدخالها الهاتف الخليوي مسح قائمة العناوين والرسائل المخزنة عليه، وهناك تقنية أخرى تعرف بإسم الأنترنت في حقيبة وقال أنه يمكن إستخدامها لإقامة شبكة إتصالات حتى إذا قطعت هيئة الإتصالات التي تسيطر عليها الحكومات خدماتها أو إستغلته لمراقبة المعارضين⁽²⁵⁾. الحياة 22 حزيران 2012.

هذه التكنولوجيات الحديثة هي معقدة وصعبة التحكم فيها فكل تقنية جديدة تكشف خبايا جديدة على الأنترنت ويصعب إكتشافها إلا من خلال علماء مختصين في الميدان هذا الصراع الدائر والجديد فرضته العولة أدى بالدول العربية والقومية إلى زعزعة إستقرارها وهي مازالت في بداية بناء الدولة الوطنية الحديثة فأمنها مهدد ومصيرها مبهم لأنها لم تواكب العصر والحداثة وليس لديها التكنولوجيا للحد من التغول الخارجي هذا بالإضافة إلى تنامي ظاهرة الإرهاب الإلكتروني وهو أيضا ظاهرة من ظواهر العصر، نظرا للتطور الرهيب في مجال الأنترنت فإن الإرهابيين سوف يكونون في المستقبل معتمدين على تكنولوجيا الإتصالات الإلكترونية، وسوف يصبح الإرهاب أكثر تعقيدا وخطورة خاصة وأنهم يستخدمون الشبكة بكفاءة.

السؤال المطروح اليوم وبشدة ما مصير الامن القومي من تهديدات الأنترنت حسب رأي الشخصي والمتواضع أن كل ما سوف ينتج مستقبلا على الأنترنت و من تقنيات حديثة وعصرية قد يمثل تهديدا للأمن القومي وهذا لا يقتصر على شبكات التواصل الإجتماعي بل جميع المجالات.

الخاتمة :

من خلال تبيان أثر الأنترنت على الإستقرار والأمن السياسي للدول القومية عامة والدول النامية خاصة متجسدا في التطور التكنولوجي نبه هذا البحث إلى ما يلي :

لقد كانت القوة التقنية في ميدان الإتصال والمعلومات متمركزة في الدول المتقدمة وأن هذه القوة هي التي تقوم اليوم بتشغيل الآلة الإعلامية الدولية، بما في ذلك تزويد نظم الإعلام الوطنية بالمضامين المختلفة، وأن الأنترنت وسيلة لبلوغ الغاية للدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وهذا التمرکز يقود إلى إستنتاج منطقي بأن الأنترنت هدفه تكريس الهيمنة الغربية على العالم حيث تستخدم القوة الإتصالية كوسيط أساسي للغزو والوعي الدولي ونشر ثقافة الأنترنت وفرضها ولو باقصر وهذا الأمر يفسر أسباب شيوع إصطلاح تكنولوجيات الحديثة مع التطور المتسارع لتقنيات الإتصال، هذه العولمة كانت دخيلة على الدول النامية حيث شكلت تهديدا على سيادتها وأمنها القومي مما كانت من ضمن نتائجه تفكيك الدولة الوطنية عن طريق سلبيات تكنولوجيات الحديثة التي كانت سببا في التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول الكبرى عن طريق التجسس والمؤامرات الهدامة، حيث هذه القوة التكنولوجية كانت متمركزة في الشمال وبالمقابل غياب تام أو شبه تام لوجودها في دول العالم الثالث الأمر الذي يدفع إلى التساؤل بجدية مامصير هذه الدول في المستقبل؟

خاصة وأن هذا العصر هو عصر الحروب الإلكترونية والبقاء للأقوى كما فرض الشركات المتعددة الجنسيات تموقعها في جميع الدول النامية مما زاد الطين بلة نظرا لإمتلاكها تكنولوجيات عالية هذا جعل الدول النامية بين كف يد واحدة وهي تبعية دائمة لأن فاقده الشيء لا يعطيه.

إن المقومات التي تتحدث عن التكنولوجيات الحديثة بوصفها واقعا تتوفر على قدر كبير من الصحة، لكن المشكلة تكمن في إنصياح التكنولوجيات الحديثة وعلى رأسها الأنترنت لكل متطلباتها التي لا تسمح بل وتتعارض مع وجود الدولة القومية ومع مبدأ السيادة، ذلك أن مثل هذا السلوك هو الذي يفاقم من الآثار السلبية للأنترنت ويمنحها فرصة تحقيق أهدافها وبدلا من ذلك ينبغي التعامل معها بدناميكية تستجيب لمتطلبات العصر.

الهوامش :

¹ - ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة العلوم السياسية، دار مجداوي للنشر والتوزيع ط1 عمان، 2004 ص81.

- 2- عثمان لخميسي، عولمة التجريم والعقاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2008، ص69، 68، 65.
- 3- عليان ربحي، مجتمع المعلومات والواقع العربي، ط1، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع 2006، ص28.
- 4- مساعد كمال، الحرب الافتراضية وسيناريوهات محاكاة الواقع في مجلة الجيش اللبناني، العدد 253، تموز يوليو سنة 2006، <http://www.lebarmy.gov.lb/article.asp?id=11575>
- 5- جاسم جعفر، حرب المعلومات بين إرث الماضي وديناميكية المستقبل، ط1، عمان، دار البداية للنشر والتوزيع 2010، ص65.
- 6- بن شريط عبد الرحمان، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2011، ص8.
- 7- جيلالي عباس، العرب في مواجهة تحديات التنمية وتحديات العولمة، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص133، 134.
- 8- رفيق سكري، الإعلام والإعلام العربي دراسة في الواقع والمتغيرات، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، لبنان، 2001، ص144.
- 9- أحمد عبد العزيز، جاسم زكريا، فراس عبد الجليل، الشركات المتعددة الجنسيات وأثرها على الدول النامية، مجلة الإدارة والاقتصاد، العراق، العدد 85، السنة 2010.
- 10- العربي فاروق، الدولة الأمة على محك العولمة، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص35.
- 11- حسين زكريا، الأمن القومي، مفاهيم ومصطلحات، مقال، <http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem/index> 2004 shtml
- 12- وليد غسان سعيد، دور الحروب الإلكترونية في الصراع العربي الإسرائيلي، ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، نابلس فلسطين، 2013، ص61.
- نفس المرجع ص110. 13
- وليد غسان سعيد، جلعود، دور الحروب الإلكترونية في الصراع العربي الإسرائيلي، ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، نابلس فلسطين، 2013، ص61.
- 15- فيصل دليو، تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة قضايا معاصرة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2005، ص39، 38، 40.
- 16- بن إيمرسون، المقرر الخاص للأمم المتحدة المعني بتعزيز وحماية حقوق الإنسان في سياق مكافحة الإرهاب، عنوان المقال "مراقبة المراقبين حماية حقوق الإنسان في عصر الرقابة الجماعية"، ص21.
- 17- بن شريط عبد الرحمان، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات الأنترنت، المرجع السابق، ص168، 169، 171.
- 18- أمريكا تلوح بخيارات متعددة للرد على القرصنة الروسية واشنطن وكالات، الثلاثاء 18 أكتوبر 2016. التوقيت: 03:51. www.https://m.arabi21.com
- 19- ساطع نور الدين، الكونجرس سنودن يتواصل مع الاستخبارات الروسية، جريدن المدن الإلكترونية مستقلة اليوم، 23/12/2016. www.almodon.com
- 20- تقرير أخبار العالم تسريبات سنودن مجدداً، التجسس على منظمات، الجمعة 9 كانون الأول 2016، العدد 3054.
- 21- نزيه درويش، دور الإعلام الاجتماعي في الربيع العربي، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، دار شرق الكتاب للنشر، بيروت، ط1، 2003، ص455، 456، 457.
- 22- نفس المرجع ص465، 462.
- 23- جميلة غطاس، كريمة مقداد، دور وسائل التواصل الاجتماعي في التحول الديمقراطي في دول الربيع العربي دراسة وصفية حالة تونس ومصر، ماستر، 2015، ص26، 27، 28، 29.
- 24- أحمد بن عبد الرحمان الصوبان، دور مواقع التواصل الاجتماعي في حركات التغيير العربية، مجلة البيان، السبت 7 جمادى الأولى 1438هـ، الموافق 04/02/2017. www.albayan.co.1k/article2.aspx?id=782.
- 25- نزيه درويش، دور الإعلام الاجتماعي في الربيع العربي، المرجع السابق، ص480.